2000 0411-0003a-2

ما ينبغي ان ننساه
وما ينبغي ألاّ ننساه

جـــوزف ابـــو خـــليـــل

انما وقفة مع الذاكرة، ذاكرتنا الجماعية طبعاً، والوطنية إن صحّ القول، التي لم تطهر، بعد، من ذلك الاثم المطبوع فيها فتعدّدت اوصافه: من "حرب لبنان"، الى "حرب الآخرين على ارض لبنان"، الى "الحرب الاهلية في لبنان"، وكلّها اوصاف سطحية أو مسطّحة هيهات ان تكون دالّة الى الإصابة الحقيقية في وجودنا السياسي والوطني والانساني على هذه الأرض، والذي يختصر كل الاصابات المتتالية على مدى ست عشرة سنة، فقتلت مئات الالوف، وجرحت مئات الالوف، ناهيك عن الجراح الباقية في قلوبنا ونفوسنا التي هي الأبقى والاكثر فتكاً في كينونة هذا البلد. فمتى يطهر لبنان من هذا الاثم ؟

يكون ذلك متى عدنا الى الذاكرة ننقيها منه فننسى ما ينبغي ان ننساه ونحتفظ بما ينبغي ألا ننساه. وهذه هي المصالحة الوطنية الحقيقية التي لم تتمّ، بعد، على رغم انقضاء عشرة اعوام ونيف على ما يُعرف بمسيرة السلم الاهلي. وهل من مصالحة من دون ان ننسى، اي من دون ان نصفح ونغفر لبعضنا البعض ؟ وهذا ما لم يتمّ، بعد، ايضاً وابداً لأن فعل الصفح يظلّ ادعاءً فارغاً او مشكوكاً فيه ما لم يسبقه التأكيد على ما ينبغي ألاّ ننساه. ومن منا بلا خطيئة ؟ او من منا لم يجرح الآخر في قلبه او في جسده او في كرامته وانسانيته يوم افلتت الغرائز على انواعها من كل ضوابطها العقلية والخلقية واصبحت هي التي تملي علينا الرأي والرؤية والموقف، ناهيك عن الخيارات الاساسية، المبدئية والوطنية والقومية ؟!

وما ابسط الحروب بين اعداء حيال الحرب بين الاهل! فدائماً الحروب بين الاهل هي اكثر شراسة وفظاعة. ان القصف العشوائي الذي كنا نتبادله، ببرودة اعصاب فائقة، والقتل على الهوية، والذبح وتقطيع الاجساد، وكل اشكال الترويع والترهيب و"التطهير العرقي" ليست من الجراح التي تنسى على طريقة عفا الله عما مضى. فالجراح باقية، والاثم باق في الذاكرة. وفوق هذا وذاك لا نزال نتبادل تهمة التسبب في الفتنة او الاعتداء، كما في السابق، مع التنصل من كل خطأ وخطيئة وادعاء الحق والصواب والوطنية في كل الاقوال والافعال ؟

20000411-00036-2

فمن المسؤول، اذا، عن هذه المذبحة طالما ان ضحاياها هم من كل القئات والطوائف والمذاهب والمناطق وكل المدن والاحياء ؟

وغني عن القول ان المذبحة انتهت بغالب ومغلوب، او بالاصح لقد تعذر وقفها إلاّ بهذه المعادلة. فعلى الاقل، الاعتراف المتبادل بالذنب كي يستقيم الصفح ويكتسب صدقيته اللازمة. ولا بدّ، في هذه الحال، من ان يسلّف الواحد الآخر مثل هذا الاقدام، بل مثل هذا الفعل البطولي. فمن يكون البادئ، او من يكون البطل في مثل هذا اليوم، يوم الثالث عشر من نيسان، او في اي يوم آخر؟!

ان قانون العفو لا يقوم مقام هذا العفو المتبادل، الصادق والحقيقي، والذي هو وحده المانع للوقوع، تكراراً، في ذات الخطيئة، وبالتالي، في ذات الفتنة.

ولا اي محاكمات، هي لابدّ من ان تكون استنسابية، تقوم مقام هذه التنقية للذاكرة من الاثم الملتصق بها، ولا اي احكام بالاعدام او بما يشبهه ويقاربه. وفي اي حال، ليس معقولاً ان تطوى هذه الصفحة من تاريخنا كما لو انها لم تكن ابداً. والويل لشعب يكتب تاريخه على هذا النحو!